تمّ تحميل هذا الملفّ من مكتبة الأديب الرّاحل رمضان لاوند | جميع الحقوق محفوظة © www.RamadanLawand.com

حديث الصباح الديني 20

يقولون أن الحضارة هي الأخلاق . فمن لا أخلاق له لا حضارة له ..

والأخلاق لا تستقيم شروطها ولا تتحقق صفاتها الأساسية ما لم تكن منضوية في صميم القوانين الكونية والحياتية التي صنع على صورتها كل موجود بما في ذلك الوجود الإنساني .

فإذا كانت من معاني القوانين التي تتحكم بمسيرة الكون والأحياء ظاهرة الاستمرار الواعي والمنضبط بحيث تتحقق معها وحدة الوجود كله فإن من معاني الأخلاق ظاهرة الاستمرار الواعي المنضبط التي تتحقق معها وحدة الوجود المجتمعي .

الإنسان الأخلاقي هو الإنسان الذي يتصرف تصرف العامل على تدعيم الوجود المجتمعي. ولما كان واحدا من هذا المجتمع ولبنة من لبناته فقد وجب أن تكون عملية التدعيم التي يمارسها خطة وسطاً تتحقق بها حريته دون أن تطغى على حرية المجتمع وحقه في الحفاظ على التوازن الدائم بينه وبينه .

وإذا كان من معاني القوانين التي تتحكم بمسيرة الكون والحياة أن تكون كل الموجودات منضبطة بها متفاعلة معها لا يشذ واحد منها ولا يخرج عن ارادتها فإن من معاني الأخلاق أن يكون التلاحم بين الفرد والمجتمع في ضوء الرؤية الواحدة والعقيدة الواحدة والمعنى الواحد وهي كلها حصيلة الإيمان بوحدة المصير المجتمعي .

وإذن فلا غرابة أن تكون الأخلاق السليمة قاعدة للحضارة السليمة .. ونحن لا نأتي بجديد حين نجد في الأخلاق السليمة صورة للوجود السليم الذي تتعايش فيه الألوان والأنواع والأشياء المتناقضة على نحو لا تختنق حرية التواصل والحوار والكفاح من أجل وجود أفضل .

وما هي الأخلاق في الدين غير التوكيد على حرية الاعتقاد وغير الحفاظ على سلامة الرؤية وغير الإيمان بالحوار الفكري السليم وغير تيسير الأسباب لإيصال الحقيقة إلى ا لجميع ؟

أوَليس أن الرسول عليه السلام قد قال : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".. أوَليس أن القرآن الكريم قد قال : "وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"..

أوَليس أن القرآن الكريم قد وضع الصورة المتكاملة لأخلاق المؤمن حين جمع فيها بين الرحمة والشدة . وجعلها صفة لكل مؤمن من المؤمنين واعتبرها آية على صدق الرسالة في التوراة والانجيل والقرآن في قوله :

" مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا " ..

ومن هم الكفار في منطق الأخلاق القرآنية هنا ؟

هل هم الذين يخالفون المؤمنين عن إيمانهم ؟

كلا .. ذلك أن القرآن الكريم نفسه هو الذي نادى بحرية الإنسان في مخالفة المؤمنين عن إيمانهم حين قال: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ "..

وإذن فالكفار هنا هم أعداء الحرية .. حرية الحوار .. وحرية الدعوة إلى الله .. وهم المقاتلون للمؤمنين يصدونهم عن إيمانهم .

ألا ترون أن الأخلاق الدينية في كتاب الله المحكم هي توكيد للقوانين الكونية التي ترفض مصادر التخريب وتقاوم أعداء الاستمرار الكوني .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ..